الجزء ١٢ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٧ م الموافق جمادى الثانية سنة ٣٤٦ هـ

تتمة اليتيمة

ما من اديب يجهل منزلة الامام ابي منصور الثعالبي في عالم الأدب فقد خاض عبابه وجمع أشتاته فحلّ من نواده بالصميم . وبلغ في عصره مقاماً ملحوظاً يحسد عليه . وكفى بكتابه (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) شاهداً عدلاً على ادبه الجمّ وفضله السابغ . فقد جمع هذا الكتاب الممتع نوعى طائفة كبيرة من الادباء والشعراء المجودين في أواخر المئة الرابعة واوائل الخامسة للهجرة . وضمّ بين دفتيه كل لطيفة ونادرة من الشعر والأمثال والحكم وهو مطبوع مشهور يغني عن إطالة الكلام في محاسنه وفوائده العديدة .

وقد رُزقت تآليف الثعالبي حظاً كبيراً فتنافلتها أقلام النساخ وتداولتها ايدي العلماء والفضلاء على تعاقب الأجيال والأحقاب . وراح أدباء العصر ينشدونها في كل شارفة و يهتمّون من مدافنها في مكاتب الشرق والغرب فطُبع منها في دمشق يتيمة الدهر وفي ليدن لطائف المعارف وفي مرسيليا فقه اللغة وفي فينا مؤنس الوحيد في المحاضرات وفي مكة النهاية في التعريض والكناية وفي قسطنطينية الايجاز والإعجاز و برد الاكباد في الأعداد[1] وفي مصر أحسن ما سمعت . وتكرر طبع كتابه فقه اللغة في بيروت ومصر الى غير ذلك . وقد وافق الادباء ابن خلكان على ان اليتيمة اكبر كتب الثعالبي وأحسنها وأجمعها فقال فيها ابن قلاقس الشاعر المشهور :

(١) طالع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٢٧٢ و ٣١٧ و ٣٣٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ابيات اشعار اليتيمة ابكار افكار قديمة)
(ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة)

على ان ما يعتور طبعتها التي صدرت بدمشق من التحريف والتصحيف والخلل قد كدرت مشرعها وشوهت محاسنها فحمل ذلك العالم اللغوي عبد الله البراش الحلبي المشهور ان يعنى بهذه (اليتيمة) فانتسخها بخطه الجميل من مكتبة باريس وعارضها بنسخة مكتبة لندن واشار الى ما عثر عليها من الروايات والزيادات ونبّه على ما فرط في النسختين من الفلتات والغلطات النسخية مما استدركه بنفسه . وقابل نسخته هذه المنقحة على النسخة المطبوعة بدمشق متتبعاً لها صفحةً صفحة وسطراً سطراً ومعلقاً على هوامشها كل ما عرض له من الفروق والمغامز والروايات وغيرها حتى جاءت كل واحدة من هاتين النسختين من أصح نسخ هذا الكتاب الممتع ناطقة بفضل المؤلف والمصحح المشار اليه على تراخي العصور .

ولما كنت بعد الهدنة أقلب مخطوطات المكتبة المارونية الطائفية بحلب عثرت على نسخة من (تتمة اليتيمة) فنقلت خبرها الى جناب الصديق الاستاذ عيسى المعلوف في صيف سنة ١٩٢١ فأشار اليها في مجلة المجمع العلمي [1] فعارضه المستشرق اغناطيوس كرتشكوفسكي وذكر منها نسخة في مكتبة فينا وثانية في مكتبة برلين وثالثة في المتحف الاسيوي في لينينغراد (مجلد ٤ ص ٢٨٤) .

ونسخة حلب تقع في ١٣٨ صفحة وكل صفحة تتألف من ٣٥ سطراً وكل سطر من احدى عشرة كلمة على الغالب . وهي مخطوطة على ورق صفيق بحبرين اسود فأحمر وخطها مقرمط سقيم لتعسر قراءته وبعض الالفاظ رسمها ناسخها رسماً دلالة على رداءة الاصل الذي نقل عنه . وهي لذلك كثيرة الزلل والخطأ ولا تخلو من فراغ في بعض المواطن كان يريد ان يملأه الناسخ من نسخة أخرى فلم يوفق اليها فبقي بياضاً . واولها مخروم ينقصه ورقة ذهب معها معظم المقدمة . وهذه النسخة قد اكمل (يوسف البديعي) نساختها في آخر شهر ربيع الاول سنة ١٠٥١ هـ (سنة ١٦٤٢ م) وضمّها

(١) اطلب مجلد ٢ حاشية صفحة ٢٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى المكتبة المارونية المشار اليها المطران الفاضل جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٣ .

وقد استدرك الثعالبي في تتمته هذه من فاته من شعراء زمانه في اليتيمة او سها عنه او قصّر فيه (فسدّ فيها الثلم وجبر الكسر وتمّم النقص) وأورد ذكر (كلّ) من الشعراء في مكانه على الرسم في مثله في كتاب اليتيمة) وقرّر عنوان الكتاب (تتمة اليتيمة) ولم يخلها (من ملح النوادر وفصوص الفصول وبناها على الانتخاب والاختصار والاقتصار على اللبوب وعيون العيون) ناحيًا فيها نحو ابي منصور الفقيه في قوله :

(قالوا خذ العين من كلّ فقلت لهم للعين فضلٌ ولكن ناظر العين)
(حرفين من الف طومار مسوّدة وربما لم تجد في الالف حرفين)

وقد جرى مؤلفها الثعالبي فيها على سياق أبواب اليتيمة فقسمها الى خمسة أقسام وهي تتمة القسم الاول في محاسن اهل الشام واليمن والجزيرة ومصر والمغرب والموصل ومايجاورها و يدانيها وذكر فيها خمسة وخمسين شاعراً . ثم تتمة القسم الثاني في محاسن أشعار اهل العراق ووصف فيها ثلاثة وعشرين شاعراً . ثم تتمة القسم الثالث في محاسن اهل الري وسائر بلاد الجبل ومايجاورها وعرّف فيها بخمسة وعشرين شاعراً . ثم تتمة القسم الرابع في محاسن اهل خراسان ومايتصل بها وترجم فيها سبعين شاعراً . ثم خاتمة الكتاب وضمنها (ذكر أقوام مختلفي الرتب متفاوتي التاريخ) معرّفاً سبعة وثلاثين شاعراً . ثم خاتمة الخاتمة وقد ذكر فيها شاعراً واحداً وهو ابو عثمان اسماعيل ابن عبد الرحمن الصابوني . و يظهر من خلال هذه التتمة ان مادعاه الى وضعها في الظاهر انما هو تكملة (يتيمته) واما في الباطن فقد حداه الى إعادة ذكر البعض من الشعراء ماحمله اليه من الالطاف والهدايا . وهو على كل حال صاحب الفضل الأظهر في هذه العلاوة فهي على حد قوله (كالريح المستفاد والريح أطيب و بالقلب أعلق) كما لا يخفى .

وهاك الآن أمثلة من تراجم هذه التتمة أرويها بحروفها بياناً لنسقها ومزيتها وفوائدها وهي هذه :

« ابو العلاء المعري »

قد جمعت بين اهل معرة النعمان التي أخرجت هؤلاء الفضلاء وهي غير مشهورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بخراسان . وكان حدثني ابو الحسن الدلفي[1] المصيصي الشاعر وهو ممن لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى ابا العلاء وسمعته يقول : انا أحمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيري على البصر وقد صنع لي وأحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء[2] وحضرته يوماً وهو يملي جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء .

(وافى الكتاب فأوجب الشكرا فضممته وثنيته عشرا)
(وفضضته وقرأته فاذا احلى كتاب في الورى بقرا)
(فمحاه دمعي من تحدره شوقاً اليك فلم يدع سطرا)

فتحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الإخوان .

« ابو الفتح الموازيني الحلبي »

لم أسمع في هجاء قوّال أملح من قوله :

(ومغنٍّ عن غيره غير مغنٍ جاء في لحنه القبيح بلحنِ)
(كاد في كفه القضيب من الغيـ ـظ ينادي ياأثقل الناس دعني)

وأنشدني المصيصي له وهو منازع بينه وبين نفرٍ من اهل الشام والجزيرة لجودته[3] . . .

وأنشدني ابو يعلى البصري لبعضهم وقد نسيت اسمه :

(الشعر كالبحر في تلاطمه ما بين ملفوظه وسائغه)
(فمنه كالمسك في لطائمه ومنه كالمسك في مدابغه)

وللموازيني في فصد بعض رؤسائه :

(على اليمن باكرت النصاد مشمراً يمين جوادٍ للعطاء مشمّره)
(مددت ابا سعدٍ الى صدر مبضعٍ يداً تصدر الآمال عنها منشّره)
(وما خلت ان الجود يجري له دمٌ فما كان اجرا ذا الطبيب واجسره)

---

(١) وروي في مجلة المجمع (المدلفي) مجلد ٢ ص ٢٤٢ . (٢) راجع في مجلة المجمع (٢ : ٢٤٢) ما علقه ابن العديم على هذه الرواية . (٣) بياض في الاصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(اظنّ له مع لطفه بلباقةٍ بصيرة بقراطٍ وافدام عنتره)

وله في مرثية القاضي الهاشمي بحلب :

(ناعي ابي جعفر القاضي دعوت الى م الردى فلم يدرَ ناعٍ انت ام داعي)
(نعي العظيمين من مجدٍ ومن شرفٍ يعد الرجيبين من خلقٍ ومن باع)
(مهلاً فلم تبقِ عيناً غير باكية ولا تركت فؤاداً غير مرتاع)

وله : (كم حمارٍ هو ازلى بنهيقٍ وشهيقٍ)
(يكتسي في الشتوة الخ ز وفي الصيف الدبيقي)

وعلى هذين البيتين فقد تذكرت بيتين على وزنها وقافيتها واشتمالها على ذكر الدبيقي[1] ولا ادري لمن هما وهما :

(ضاع في الشوك دبيقي حين املت صديقي)
(بفعالٍ كالنجاري وبقولٍ كالدبيقي)

« ابو الغوث نحرير[2] المنبجي »

ذكر المصيصي انه أظرف الناس وأملحهم شعراً . وكان بلدّ يشعر بلديّه البحتري . هذا وكان في بصره سوء فرمدت عينه مرّة فقال له والي منبج : يا ابا الغوث قد أشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت . قال : أقرأ على قبرك ايها الامير ؛ فاستظرف قوة جوابه وتعجب من ظرفه . قال : ومن شعره قوله في غلام اتحى :

(في سبيل الله خدٌّ كان في الملمس خزّا)
(خانه الدهر فأضحى يوسع اللائم وخزا)

وله : (أيها الظبي الذي اعرض عني وجفاني)
(وهو من اعظم همي حين اخلو بالاماني)
(ابتلاك الله مني بالذي منك ابتلاني)
(ساعة حتى ترى كيـ ـف الهوى ثم كفاني)

* * *

(١) ثياب تنسب الى دَبيق وهي بلد بمصر . (٢) كذا في الاصل ولعله جرير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« عبد المنعم بن عبد المحسن الصوري »

من ملحه وطرفه في غلام ينظر في مرآة :

(جلا المرآة صيقلها لوجهٍ تولى الله خلقته لحيني)

(فلو أبصرته يرنو اليها عرفت الفرق بين الصيقلين)

وقوله لنبهان الجعفري وهو غاية في الملاحة :

(زففت الى نبهان من عفو خاطري عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا)

(فقبلها عشراً وأظهر حبها فلما طلبت المهر طلقها عشرا)

وأنشدني المصيصي وابو يعلى له :

(ارى الليالي اذا عاتبتها جعلت تمنُّ اذ جعلتني من ذوي الادب)

(وليس عند الليالي ان أقبح ما فعلن بي اذ جعلن الشعر مكتسبي)

ومما يستحسن و يستظرف له قوله :

(لي مولىً إحسانه يتجدَّدْ كل يوم لديَّ والمجد يشهد)

(أحسن الفعل بي وأحسنت قولاً واشتهرنا فقيل جاد وجددْ)

وقوله وهو من أمثاله السائرة :

(ارى الله يعطيني ودهري يأخذ وفي كل يوم سيف قتلي يشحذُ)

(وكيف سلوّي عن شبابي وفقده طريق الى سمت المنية ينفذُ)

« أبو شرحبيل الكندي »

قد اكثر الشعراء في الحث على الاضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر في السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاه قول هذا الاعرابي الشامي :

(سرْ في بلاد الله والتمس الغنى ودعِ الجلوس مع العيال مخيما)

(لا خير في حرٍّ يجالس حرَّةً و يبيع قرطيها اذا ما اعدما)

« حسن الرقاق من اهل دمشق »

يقول في صديق له اجحف في مسألته وهو ضيف له :

(ودعوتني فأكلت عندك لقمةً وشربت شربة من استتم خروفا)

(وسألتني في اثر ذلك حاجةً ذهبت بمالي تالداً وطريفا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(فجعلت أنكر فيك باقي ليلتي ما كنت تفعل لو اكلت رغيفا)

ويقول في تغيّر صديق له اكل الحسن عنده طباهجة [١] .

(ما جئت ذنباً اليه اعلمه ولا تطرقت للفتى نشبا)
(بل اكلت له طباهجةً كانت الى قطع ودّنا سببا)

وكان هذا (الحسن) احد ظرفاء الادباء . انشدني له المصيصي في استهداء الشراب .

(عندي أناسٌ ظرافٌ بهم تحلى الدهورُ)
(واليوم يومٌ مطيرٌ نلذُّ فيه الخمورُ)
(أمده بيسيرٍ حتى يتمَّ السرورُ)
(ولا تشبه بماءٍ فالماء عندي كثيرُ)

سرقه من قول البحتري [٢] .

(فانفذ ما استطعت بغير مزجٍ فان الماء ليس يضيق عندي)

وانا استظرف قول غيره فيمن اهدي اليه شراباً ممزوجاً :

(ليس هذا من عادة الأحرار بيع ماء الانهار بالاشعار)
(انما قلت سقّني ماء كرمٍ لم أقل سقّني من الانهارِ)
(قد رددناه فاسقِ من يريد م الماء لا من يريد صرف العقار)
(ولئن كنت قانعاً منك بالما ء فعندي في الدار نهر جاري)

انتهى عن (تتمة القسم الاول) حلب : الطوبجي عرعس منش

(١) الطباهجة طعام من بيض وبصل ولحم مشرح معرب طباهه بالفارسية .
(٢) لم أره في ديوانه المطبوع في بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net